

تفسير ابن كثير

وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ

وتولى عنهم وقال ياأسفى على يوسف) أي : أعرض عن بنيه وقال متذكرا حزن يوسف

القديم الأول : (ياأسفى على يوسف) جدد له حزن الابنين الحزن الدفين . قال عبد الرزاق

، أخبرنا الثوري ، عن سفيان العصفري ، عن سعيد بن جبير أنه قال : لم يعط أحد غير

هذه الأمة الاسترجاع ، ألا تسمعون إلى قول يعقوب ، عليه السلام : (ياأسفى على يوسف

وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم) أي : ساكت لا يشكو أمره إلى مخلوق قاله قتادة

وغيره . وقال الضحاك : (فهو كظيم) كميد حزين . قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ،

حدثنا حماد بن سلمة [حدثنا أبو موسى] عن علي بن زيد عن الحسن ، عن الأحنف

بن قيس ، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " إن داود عليه السلام ، قال : يا رب ،

إن بني إسرائيل يسألونك بإبراهيم وإسحاق ويعقوب ، فاجعلني لهم رابعا . فأوحى الله

تعالى إليه أن يا داود ، إن إبراهيم ألقى في النار بسبي فصبر ، وتلك بلية لم تنلك ، وإن

إسحاق بذل مهجة دمه في سبي فصبر ، وتلك بلية لم تنلك ، وإن يعقوب أخذت منه

حبيبه حتى ابيضت عيناه من الحزن ، فصبر ، وتلك بلية لم تنلك " .وهذا مرسل ، وفيه
نكارة ؛ فإن الصحيح أن إسماعيل هو الذبيح ، ولكن علي بن زيد بن جدعان له مناكير
وغرائب كثيرة ، والله أعلم .وأقرب ما في هذا أن يكون قد حكاه الأحنف بن قيس ،
رحمه الله ، عن بني إسرائيل ككعب ووهب ونحوهما ، والله أعلم ، فإن الإسرائيليين
ينقلون أن يعقوب كتب إلى يوسف لما احتبس أخاه بسبب السرقة يتلطف له في رده ،
ويذكر له أنهم أهل بيت مصابون بالبلاء ، فيأبراهيم ابتلي بالنار ، وإسحاق بالذبح ، ويعقوب
بفراق يوسف ، في حديث طويل لا يصح ، والله أعلم ، فعند ذلك رق له بنوه